من منكم يفهم سرّ الجلبة ؟

محمود علي السعيد

البرد يقص المسمار
والعاشق ما بين الظلِ
وبين الصورةِ
ما بين النومِ
وبين الصحوةِ
يرقصُ في الحلبة
من منكم يفهم سر الضوضاءِ
توسوس في جسد الأرصفةِ
المهجورةِ
أنسجةِ الجثثِ الملقاةِ
على قارعةِ الصمتِ
خشب الجدرانِ البراقةِ
من منكم يفهم سر الجلبه

* * *

الشرطي يمشط وجه
الحاراتِ الشعبية
زاويةً زاويةً
كوخاً كوخاً
يستثنى من يرفع في الريحِ
بطاقته الشخصيةَ
الرقمُ الأولُ
قف
من أين أتيتَ . . . وكيف ؟
ابتعت من البقّالةِ
من فاكهة الموز الصوماليِّ
لأطفالي العشرة قرطاً
الرقمُ الثاني
قف
من أين أتيت . . . وكيف ؟
أجهشت الطفلة من عطشٍ
من جوع
من أشياء موجهةٍ
الرقمُ الثالثُ
قف
فتشتُ السوق السوداءَ
بقلبي
أقبيةَ الأدوية السريةَ والعلنية
التقريرُ الطبي يشير بأن الموقفَ
لا يحتمل نقاشاً
الرقمُ الرابعُ
قف
خلفَ رغيف الخبز المحروقِ
على مدفأةِ الحطب الريفيةِ
أركضُ
فالأفرانُ افتقدت عربات النفطِ
الرقمُ الخامسُ
قف

من أين أتيتَ . . . وكيف ؟
مصفاةُ التكرير العصرية تجأر كالناعورةِ
والقِدْرُ على بعضٍ من جمراتِ
الفحم الافريقيِّ
تضخ الطينْ
الرقم السادسُ والسابعُ
والثامنُ والتاسعُ والعاشرُ
الرقم المئةُ ، الألفْ ،
قفْ
قفْ
قفْ
أنتفضُ الآنَ

نسرٌ يهجس أن الصمت المستشري
مقصلةٌ
نسيج الأرض الرائقَ
شبه التفاحةِ
قنبلةٌ
قمر العشاق يوسوس للعشبِ
العصفور يصفق للشمسِ
الزرقة في قمصان البحرِ
الحمرة في جرح فلسطينَ
الصفرة في جسد الصحراء العربيةِ
جملةُ أسرار تستعمرُ
شريانَ الوردةِ
الفجرُ الأولُ :
تعلن أجهزةُ القمعِ
ـ أخصُّ العربيةَ ـ
لا مانع أن تجتزّ السكينةُ
من جسد الوطنِ
شريحةَ اسمنتٍ
بسمة فلاحٍ
زهرة قطنٍ
لوحة عشق طازجة
أفراحُ دقائقها
لونٌ ـ تشكيلٌ ـ خط
نتعهد ألاّ تنبس شفةٌ
أو تطفو فوق السطح الآسنِ
قشّة
الفجرُ الثاني :
يُمْسَحُ شعبُ فلسطينَ
أخصُّ الشغيلةَ
من أين . . . وكيف ؟
يُفْلَحُ صدرُ التربةِ
في الريحِ تشمّس
من بضع شجيراتٍ
تعشقُ سحرَ النسغ الدمويّ
خلايا الجثة
يورق زمنٌ آخر
الفجرُ الثالث :
في أنسجة الأرضِ ، الناسِ
ندسُّ العبوة تلو العبوةِ
نغسل فكر امرأة تغزلُ
ثوب قماشٍ وردي
واجهة تزهو بالخضرةِ
كوخاً يستر في عصر الشيخوخةِ
شطحاتِ الموقدِ
في زمن فلسطينَ
أقولُ لكم :
الفحمةُ حمراءُ
واللونُ الإفريقيّ النافرُ
في وجه عشيقتك الزنجية أيضاً
والصخرةُ متراس الثورةِ
الأحمر خيطُ الدمعِ
إذا انبجست غرساتُ
الشفق الجوري
لونُ الوهج إذا لامست الأسلاكُ جناح الماءْ
تنبلج الظلمةُ عن خيط شمسيٍّ
اغرس في قلب الصخرة سنبلةً
في رحم الأرض العاقرِ
حَبَّ الأشياءْ
يا سحر الكلمات المشتاقة
السلكُ يكهرب وجه الوردةِ
شفة الخبزِ
جسد الشغيلة
والموسيقا تسحبُ
صحو الأوراق الغضةِ
راعشةَ اللمسةِ
سيدةَ اللحظةِ منعشةَ القبلةِ
ترشحُ فاكهةُ العشق دماءً
ينبجس العشبُ من الجثةِ
يُلْهِبُ صمت الأجنحة الخفاقة
الموجة زرقاءُ
والبحرُ الصاخب في بحر العينين علانيةً
ينشر في المطلق أوراقه
فلماذا يا سحر الكلماتِ
يعسكر في عش الأزهارِ نعاسُ الصمتْ
يطفح نبضُ البستانِ الأبيضُ
ولماذا تستوقفنا
في فاتحةِ الأقراص الدمويةِ
ساقيةُ الموتْ
يا فقراءَ العالمِ
يا أصحابَ القلبِ الطيّبِ
يا كل القصص البراقة

ـ حلب ـ